إضاءة النبراس
من
قوله تعالى
(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ)

د.عبد الجبار محمد جاسم
ديوان الوقف السني
abedgbr@yahoo.com

أ.د. خالد محمد جاسم
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية / قسم التربية الاسلامية
Dkhaled662@gmail.com

مستخلص البحث

الكعبة المشرفة قبلة المسلمين عظمها الله تعالى في كتابه الكريم وعظمها النبي صلى الله عليه واله وسلم في سنته المباركة قولا وفعلا ، فتكلم عن عظمتها وطاف حولها عبادة وتعظيما، ولازالت مهوى افئدة القلوب وذكر الله تعالى ان هذه الكعبة هي بيته الحرام وهي اول بيت وضع للناس ، فهل كان هذا البيت الاول من حيث العبادة ام من حيث اول بناء في الارض ؟

وقد اشارت الآية الكريمة الى اوليته ، واختلف الصحابة والتابعون والعلماء من بعدهم ما المقصود في هذه الاولية ، فأخذنا اضاءة نور واقتبسنا شعاعا مباركا في دراسة الآية التي تحدثت عن اولية البيت الحرام ، حيث تبينت منها عظمة البيت والهدى الذي فيه والبركات التي منه والتي تصيب كل من طاف حوله وصلى فيه ونظر اليه، فكان كل ارتباط معه يبين العبادة التي من اجلها عظم الله تعالى هذا البيت الذي هو قبلة المسلمين الى اخر الدهر .

الكلمات المفتاحية : (اضاءة ، نبراس ، اول ، بيت ، الناس).

المقدمة

الحمد لله الذي جعل مكةّ أمّ القرى وفضلها على ما حولها، جعل الكعبة أماناً لبقاء الدنيا وأهلها، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد المصطفى الأمين عبده ورسوله، خير الخليقة وأتقاها وأكملها، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلّم، ما استنار العالم بأنوار الكعبة وهداها وبركتها.

وبعد:

فإنّه ما زالت الأرواح تطوف حوله قبل الأجساد، وتحنّ له القلوب، وتهيم في حبّه في كلّ واد، سرّة الدنيا ومهوى الأفئدة، بيت ربّ العباد تقدّست ذاته.

ولطالما سح مداد الأقلام ، وسعت الأقدام حبا إلى البيت الحرام ، مظهرة حرارة الشوق والغرام ، فإنّ للقلوب لوعة لا يطفؤها إلا الوصال ولقد سطر الأولون من العلماء الكرام رضي الله عنهم ما اثلج الصدور بروائع التاليف في هذه البقعة المباركة .

وهذا بحثٌ بضاعته مزجاة في بابه، وقع اختياري عليه سمّيته: (**إضاءة النبراس مِن قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**) وهي من الآية رقم (96) من سورة آل عمران، قاصداً بذلك اقتباس جذوة من نور هذه الآية ، فمهما غاص الباحثون في إسرار هذا الكتاب العظيم فستبقى جهودهم قبساً من معانيه، وتبقى الحقيقة القرآنية خالدة راقية تمدّ الإفهام على مرّ العصور بالعجائب، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل .وقد تطلب مني البحث أن يقسم على مقدمة ومبحثين وخاتمة

في المقدمة ذكرت أهمية الموضوع وأسباب اختياره

المبحث الأوّل : وتكلمت فيه عن أولية البيت الحرام وفيه أربعة مطالب

المطلب الأوّل : معنى الأوّل لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : أقوال العلماء في المسألة.

المطلب الثالث: أدلّة القائلين بألأولية المطلقة للبيت الحرام .

المطلب الرابع: أدلّة القائلين بألأولية المقيدة للبيت الحرام .

المبحث الثاني : إضاءات من معاني الآية الكريمة.

المطلب الأوّل : معنى الوضع وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: البركة والهدى ومظاهرهما.

أمّا الخاتمة فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلّت إليها في بحثي ، وأسال الله تعالى التوفيق والقبول

وصلّى الله على حضرة سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأوّل

أوّلية البيت الحرام (بزوغ النّور)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: معنى الأوّل لغة واصطلاحا:

الأوّل لغة: ابتداء الشيء[i].

الأوّل اصطلاحا: هو: (فرد لا يكون غيره من جنسه سابقًا عليه ولا مقارنًا له)[ii].

والأوّل: (هو الفرد السابق)[iii].

ومن التعريفين أعلاه يتبين أنّ الأوّل له ركنان:

1. **الابتداء:** فما لا يبتدأ به لا يكون أوّلاً، فلو قلنا: أوّل من دخل البيت أحمد، فإذا دخل قبل أحمد أحد، فلا أوّلية لأحمد؛ لفقد الركن الأوّل وهو السبق والابتداء.
2. **أن يكون فردا لا زوجا:** فلو قلنا: دخل أحمد ومحمّد سوية، فلا أولية لأحمد؛ لفقد الركن الثاني، وهو كونه غير فرد.

ولا يشترط في الأولية التعاقب، فلو قلنا: أوّل من دخل البيت أحمد، فلو لم يدخل غير أحمد فالجملة صحيحة من حيث الأوّلية؛ لأنّ الأوّلية اسم للشيء الذي يوجد ابتداء، سواء حصل بعده شيء آخر أو لم يحصل، يقال: هذا أوّل قدومي مكة، وهذا أوّل مال أصبته [iv].

ويستعمل الأوّل على أوجه[v]:

أحدها: المتقدّم بالزمان كقولك: سيدنا آدم ثم سيدنا نوح عليهما الصلاة والسلام

الثاني: المتقدّم بالرئاسة في الشيء، وكون غيره محتذيا به، نحو: الأمير أوّلاً ثمّ الوزير.

الثالث: المتقدّم بالوضع والنسبة، كقولك للخارج من العراق إلى مصر: الأردن أوّلاً ثمّ مصر.

الرابع: المتقدّم بالنظام الصناعي، نحو أن يقال: الأساس أوّلاً ثم البناء.

فالأوّلية قد تكون مطلقة عن القيد، وقد تكون مقيدة، كقوله تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ)**[vi]، أي: لا تكونوا ممّن يقتدى بكم في الكفر[vii].

المطلب الثاني: أقوال المفسّرين في معنى أوّلية البيت الحرام

لا خلاف في أنّ الكعبة أوّل بيت وضع للعبادة، وإنّما اختلفوا هل كان أوّل بيت وضع لغيرها؟ .

القول الأوّل: الكعبة المشرّفة أوّل بيت على الإطلاق[viii].

القول الثاني: الكعبة المعظّمة أوّل بيت باعتبارٍ محددٍ وصفةٍ مقيدةٍ.

فبعضهم رأى أنّ بيت الله تعالى سبق البيوت قبله بأنّه أوّل بيت لعبادة الله تعالى[ix]، أو أول بيت وضع فيه البركة [x]، أو أول بيت للحج أو قبلة للناس[xi]، أو أول بيت للمؤمنين[xii]، أو(أوّل) بمعنى(أشرف)[xiii].

وهذه الأقوال كلّها تلتقي بنفي المعنى المطلق لكلمة(الأوّل) وترجع إلى مفهوم الأولية للعبادة .

المطلب الثالث: أدلّة القول الأوّل:

أستدلّ أصحاب هذا القول بالأدلّة لآتية:

الدليل الأوّل: إنّ المعنى الحقيقي والظاهر للأولية في الآية هو الأوّلية الزمانية المطلقة[xiv].

ويجاب: إنّ هذا لا يقتضيه الظاهر؛ فالآية قيّدت الوضع(للناس)، ولم تقل: أوّل بيت وضع في الأرض[xv].

أقول: الآية لا تدلّ على وضعه في الأرض لفظاً إلّا أنّها لا تنفيه؛ لأنّ وجود الناس من لوازمه وجودهم في الأرض، لكن الآية أرادت أن تبيّن علّة الإيجاد.

الدليل الثاني: قوله تعالى:(**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)**[xvi]،وسمّي بذلك؛ لقدمه؛ فهو أوّل بيت وضع للناس[xvii].

يجاب: سمي العتيق ، لان الحق سبحانه منعه من الجبابرة[xviii]، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: إنما سمّي البيت العتيق؛ لأنّه لم يظهر عليه جبار[xix].

أقول: لا تعارض بين القولين في الآية، فكلاهما صحيح، وينطبق على الكعبة المشرّفة.

الدليل الثالث: إنّ الله تعالى سمّى مكة أمّ القرى، قال تعالى: (**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**)[xx] ، وظاهر الكلام أن مكة مقدمة على سائر بقاع الارض في الفضل والشرف منذ وجودها ؛ لأنّها أصل كلّ بلدة ومنها دُحيت الأرض[xxi].

يجاب: هذا ليس نصاً في المسألة، فقد يقال: إنّها سمّيت بذلك؛ لأنّها أشرف من سائر البلاد[xxii]، وأيضا هذا خارج محلّ النزاع ؛ إذ الجهة مكرّمة اتفاقا .

الدليل الرابع: روايات عديدة تؤيد ما فهموه لكنّها تختلف في الباني الأوّل للبيت الحرام أشهرها:

1. **بنيت الكعبة قبل خلق الأرض نفسها:** فعن النبي صلّى الله عليه واله وسلّم قال: كان موضع البيت في زمن آدم عليه السلام شبراً أو أكثرعلماً فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم[xxiii]، ثم حجَّ آدم فاستقبلته الملائكة فقالوا: يا آدم من أين جئت ؟ قال: حججتُ البيت، فقالوا: لقد حجّته الملائكة من قبلك)[xxiv].

وعن سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: وُضِع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت[xxv].

وعن سيدنا عبدالله بن عمرو رضي الله عنه:(كان البيت قبل الأرض بألفي سنة،(**وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ**)[xxvi]، قال: من تحته مدّا)[xxvii]، وعن مجاهد، قال: (لقد خلق الله عزّوجلّ موضع هذا البيت قبل أنْ يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة، وإنّ قواعده لفي الأرض السابعة السفلى)[xxviii] .

2. **إنّ الكعبة بناها سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام:** فعن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن حضرة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: بعث الله جبريل عليه السلام إلى آدم وحواء، فقال لهما: ابنيا لي بناءً، فخطّ لهما جبريل عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء، نودي من تحته: حسبك يا آدم، فلما بنياه أوحى الله تعالى إليه: أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس،

وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجّه نوح، ثمّ تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه)[xxix].

3. **إنّ الكعبة بناها الملائكة:** فروي عن سيدنا علي بن الحسين (زين العابدين) رضي الله عنهما: إنّ الله تعالى امر الملائكة أن يبنوا بيتاً في الأرض كمثل البيت المعمور ، فأمر الله الخلق أن يطوفوا به، كطواف أهل السماء ببيته المعمور[xxx].

الدليل الخامس: ما ورد عن عروة بن الزبير: ما من احد من الانبياء إلّا وقد حج البيت ، وحجه نوح ، فلما غرقت الارض ، اصيب البيت مثلما أصاب كل الأرض، وكان ربوة حمراء، .....، فلمّا بوّأ الحق جل وعلا للخليل عليه السلام حجه، لم يبق نبيٌ بعده إلا حجّه[xxxi].

فهذا يدلّ على وجود البيت وحج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ويجاب عن هذا الدليل والذي قبله:

1. إنّ غالب ما يذكر من هذه الآثار إنّما يؤخذ من كتب أهل الكتاب، وهي ممّا لا يصدق ولا يكذب[xxxii].

2. إنّ المقصود في هذه الروايات هو البقعة المباركة أي: موضع البيت[xxxiii]، وقد صحّ عن مجاهد حجّ الناس لموضع البيت[xxxiv] .

أقول: التعظيم لموضع المكان متفق عليه، لكن هذا لا ينفي حرمة البناء المتصل به، يدل على ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم:(استمتعوا من هذا البيت، فقد هدم مرتين، ويرفع في الثالثة)[xxxv].

الدليل السادس: إن الصلاة كانت تكليفا لازما عند جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بدليل قوله "تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)[xxxvi]، والسجدة لا بد لها من قبلة، فلو كانت قبلتهم موضعا آخر سوى الكعبة لتعارض مع قوله تعالى:(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) .

أقول: هذا لا يدلّ على البناء، وإنّما على شرف البقعة وحرمتها، وهي الأصل لا البناء.

الدليل السابع: قول الرسول عليه صلى الله عليه واله وسلم يوم الفتح : إنّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة[xxxvii] وتحريم مكة لا يمكن إلّا بعد وجودها[xxxviii].

أقول: لا تلازم بين التحريم والبناء؛ فقد تُحرّم مكة مع عدم وجود البناء.

المطب الرابع: أدلّة القول الثاني:

استدلّ أهل هذا القول بالأدلّة الآتية:

الدليل الأوّل: قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[xxxix]، فهذا يقتضي أنّ سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، هو أوّل من بنى الكعبة مبتدئا[xl].

أقول: السياق القرآني يحتمل هنا أنْ تكون تلك القواعد قواعد بيت قد بُنِيَ سابقًا ثم اندثر، أو قواعد بيت جديد، لكن الظاهر يرجّح أن وجود القواعد سابق على سيدنا إبراهيم عليه السلام وذلك لِمَا يأتي:

1. إنّ الرفع هو إيجاد البُعد الثالث وهو الارتفاع، فالطول والعرض إذن موجودان، فالذي كان مطموسا هو القاعدة، مع وجود الطول والعرض اللذين يحددان المكان، أما البناء فهو الذي يحدد المكين[xli] كما أن القواعد في البناء يقال عنها: توضع، ولا يقال: ترفع إلّا مجازا[xlii]، ولا ضرورة للمجاز هنا.
2. إن حرف الجر(مِن) في الآية معنها الابتداء[xliii]، فلم تقل الآية: قواعد البيت بل عبّرت ب (الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ) أي: إنّ ابتداء البناء كان من البيت لا من القواعد[xliv].

3. إن قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)[xlv]، يدلّ على أنّه كان موجودا، وكذلك قوله تعالى:(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا)[xlvi]، لأنّه يدلّ على أنّ له مكاناً سابقاً، كان معروفاً[xlvii].

ويجاب: إنّ المراد مكانه المقدّر في علم الله تعالى، المعظّم من لدن سيدنا آدم عليه الصلاة والتسليم إلى سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام[xlviii].

أقول: الآية عبّرت ب (بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) ، وهي ترفدنا بمعنيين:

الأوّل: وجود البيت سابقٌ على عهد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتأويل البيت بالبقعة هنا بعيد؛ لأنّ لفظ البيت سيتردد بين مجازين: الأول: علاقة المجاز فيه هي باعتبار ما كان، والثاني: بما يؤول إليه، وحمله على الأول أصح؛ لأنّه أقرب للحقيقة[xlix].

الثاني: إنّ هذا البيت (مُحرّم) وهذه اللفظة اسم مفعول أي: هناك من حرّمه وتحريمه يوم خلق الله تعالى السموات والأرض، ولكن ظهر التحريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فكذلك بناؤه إنما ظهر على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام وإن كان قد تم بناؤه من قبل.

الدليل الثاني: عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنّه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ مسجد وُضِع في الأرض أوّل؟ قال: المسجد الحرام،قال: قلت: ثمّ أيّ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثمّ أينما أدركتك الصلاة بعد فصلِّه، فإن الفضل فيه [l]، وهذا يفسِّر قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) ويدلّ على أنّ المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت[li].ويجاب:

1. الحديث ليس على ظاهره؛ فلا شك أنّ باني الكعبة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وباني الأقصى سيدنا داود وابنه سيدنا سليمان عليهما السلام، وبينهما مدّة طويلة تزيد على الأربعين[lii].
2. يختلف وضع البناء، وسؤاله عن الفرق بين وضعهما لا عن الوقت بين بناءالبيتين[liii].
3. يمكن حمل الوضع على التجديد جمعاً بين الأدلّة[liv].

كما أنه ليس في الحديث دلالة على الباني بل هو جوابٌ عن أوّل مواطن العبادة.

الدليل الثالث: ما ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه: أن رجلا قال له: أهو أول بيت؟ قال: لا، قد كان قبله بيوت، ولكنّه أوّل بيت وضع للناس للعبادة مباركا[lv] فيه الهدى والرحمة والبركة[lvi].

وسئل سيدنا علي رضوان الله عليه عن الكعبة، هو أوّل بيت كان في الأرض؟ قال: لا! قال: فأين كان قَوْم نُوح؟ وأين كان قوم هود؟ قال: ولكنّه أوّل بيت وُضع للناس مبارَكًا وهدًى)[lvii].

ويجاب:

1. هذا الأثر لا يدلّ على أنّ بناء البيت على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام، هو البناء الأوّل بل يدلّ على أنّه ليس أوّل بناء في الأرض بدون دلالة الأثر على تاريخ البناء.
2. إن بين الأثرين تعارضا؛ إذ الأوّل يدلّ على أنّه أوّل بيت للعبادة، والثاني يدلّ على ذلك لكن مع تأخر الزمان؛ لأنّه استدل بوجود بيوت قوم سيدنا نوح وسيدنا هود عليهما الصلاة والسلام،

أقول: نحن متفقون على أنّه أوّل بيت للعبادة لكن ظاهر الأثر الثاني، ينفي وجود بيوت للعبادة قبل ذلك ، وهذا يؤدي إلى وجود بيوت للعبادة قبله لأنه لا يمكن أن يخلو الزمان قبله من بيوت العبادة لله تعالى ، مع اتفاقنا على عدم وجود بيت لعبادة الله قبله .

الدليل الرابع: إنّ قوله تعالى: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ)** لا يدلّ على أنّه أوّل بيت خلقه الله تعالى أو ظهر في الأرض، بل على أنّه مشترك فيه بين كلّ الناس للطاعات والعبادات لا مختصا بواحد منه[lviii].

الدليل الخامس: دلالة الآية على الأولية في الفضل والشرف للكعبة على بيت المقدس هي المقصود الأصلي، ولاتأثير لأولية أن بناءه هو المقصود ، لكن الأولية بسبب الفضل لايتنافى مع اولية البناء[lix].

ويجاب: إن سبق المكان بالعبادة له أثر في تفضيله، فالمسجد الأسبق أفضل من الحديث لسبقه بالعبادة[lx].

رأي بعض المعاصرين

بعض الباحثين جعل الصفة المميزة للأولية أن الكعبة لجميع الناس، فكلّ بيت عبادة قبلها كان مقصوراً على فئة خاصة، إلّا إذا أذن الملك ومن يمثله، بدليل الآثار التي اكتشفها المختصون عن أقدم المعابد ، فالبشرية نست متى وأين ابتدأ هذا الأمر؟ فأعلمنا القرآن أنّ أول بيت حقق هذا الأمر هو بيت الله بمكة[lxi].

ويجاب:

1. اللام في (لِلنَّاسِ) للتعليل وليست للإباحة[lxii].
2. إنّ هذا معارض بالظواهر التي تدل على وجود البيت قبل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام
3. إن هذا قول بخلو الزمان قبل الكعبة من بيوت عبادة لله تعالى، وهذا منفي بالاتفاق .

المبحث الثاني

إضاءات من معاني الآية

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: في معنى الوضع وما يتعلّق به

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأوّل: الوضع والواضع:

أصل الوضع هو: الخفض للشيء وحطّه[lxiii]، ومعنى وضع في الآية: أسس وأثبت[lxiv].

ولقد قرأ جمهور المفسّرين وُضِعَ على بناء الفعل للمفعول على معنى وضعه الله جل وعلا[lxv]، أي: هيئ وجعله متعبدا لهم، فالآية على هذا ابتداء معنى منقطع عن الآية قبلها[lxvi]، ونقل بعض المفسّرين قراءة أخرى وهي(وَضَع) بفتح الواو والضاد، فيحتمل أن يريد: وضع الله تعالى، فيكون المعنى منقطعا، كما هو في قراءة جمهور المفسرين، وربما يراد وضع سيدنا إبراهيم عليه الصلاة السلام، فيكون معناه اتصالا بما قبله[lxvii].ولدى مراجعة المصادر المختصّة بالقراءات العشر في هذه الآية لم أقف على قراءة أخرى بغير البناء للمجهول في كلمة (وُضِعَ)[lxviii]، فقراءة غير الجمهور إذاً من القراءات الشاذة[lxix].

الفرع الثاني: حكمة الوضع

لكلّ بناء مقصد من بناءه، ومرمى من تشيده، فما الغاية التي أرادها ربّنا تعالى شأنه من وضع البيت؟.

لقد دلّت الآية على أن سبب الوضع هو للناس، واللام في الناس للتعليل، والناس يشمل البشر من خلق سيدنا آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ، إذ سيدنا آدم عليه السلام من الناس، ولا داعي لتخصيص الكلمة بزمن، يقول الله جل وعلا:(**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)[lxx] ، وذلك منذ سيدنا آدم إلى عهد سيدنا نوح عليهما السلام، فعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على شريعة من الحق، فلمّا اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمّة واحدة[lxxi]، فعشرة قرون على توحيد الله عزوجل لا يمكن أن تكون بلا بيت عبادة له سبحانه.

والمقصود: إنّ هذ البيت أسس متعبّدا للناس، ولفظ الناس يشمل أبانا آدم عليه السلام، وهذا يعني وجود البيت منذ عهده ، فلقد حجّ كلّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والناس معهم كما ذكرنا .

الفرع الثالث: تصميم الوضع

لقد وصف القرآن الكريم تصميم الكعبة بأنّها بيت، فما هو البيت؟ ولماذا وصفتها الآية بذلك دون غيرها من الألفاظ ؟ وما هي أبعاد هذا المفرّدة ومدى أثرها في فهم النص القرآني محلّ البحث؟.

البيت لغة: هو المأوى والمآب ومجمع الشمل [lxxii].

البيت اصطلاحا: هو اسم لمكان مسقف واحد، والمنزل اسم لما يكون من البيوت، وصحن مسقف ومطبخ يسكنه الرجل بعياله، والدار اسم لِما اشتمل على بيوت، ومنازل، وصحن غير مسقف، والدار

تبقى دارا وإن زالت حوائطها، والبيت لا يسمى بيتا بعد هدمه[lxxiii]، واسم الدار يتناول الموضع والبناء جميعا[lxxiv].

والبيت: هو المكان الذي يعتاد الإنسان أن يقضي الليل فيه سواء نام أم لم ينم[lxxv]، ولا يشترط فيه أن يكون مبنيا فقد يكون خيمة أو شقة أو دارا أو كهف أو حتى غرفة في دار أو مأوى أو نزل[lxxvi]

والمستخلص من الكلام أعلاه :

1. البيت بناء واحد دون تحديد نوعية البناء.
2. لا تدخل أرض البيت في مفهومه، وإن كانت الأرض من لوازمه.
3. البيت محل مبيت دون التقيد بالنوم فيه، وليس محل نزول مؤقت.
4. موضع البيت لا يسمّى بيتا وكذلك البناء لا يسمّى بيتا بعد هدمه إلّا مجازا.

فالتعبير بمفردة (البيت) في الآية دون غيرها له مدلوله المادي والروحي في فهم الآية :

فمدلوله المادي: يلزم منه وجود البناء: وهو شغل حيز من أرض ببناء واحد دون النظر لنوعية ماهية البناء، وهذا يعني أن الله تعالى عندما وصف وضع الكعبة ب(البيت) فإنّ ذلك يقتضي وجودها.

كما أن الكعبة هي الأحق بأنّ تسمّى بالبيت أي: هي الأحق بأن يتوجه لها، وتقصد فيأوي إليها المؤمنون.

أمّا المدلول الروحي: فإنّ الناس لابد لهم من مكان يجتمعون فيه فجعل الله تعالى لهم الكعبة التي يأوي إليها المسلمون والتي عبّر عنها بالبيت دون غيره من الألفاظ ؛ لِما تحمله هذه الكلمة من أبعاد روحية ؛ إذ سيكون مأوى لهم يؤون إليه ليستمدوا من بركته وهداه .

وإذا كان عامة المساجد تسمّى بيوت الله تعالى لتكون مأوى القلوب والأفئدة وجعل حضرة خاتم النبيين صلّى الله عليه وسلّم من أفاضل الخلق يوم القيامة أولئك الذين باتت قلوبهم فيها،وإن كانوا خارجها، فما بالك بالبيت الذي جعله الله تعالى مرجعا وماوى للناس وأمانا لا شك أنّ لمبيت الأرواح فيه شانا آخر.

فالبيت مأوى لهم كلّما توجهوا إليه بصلاتهم وهو مأوى كلّما جاؤوا رجالا وركبانا، حجّاجا وعمارا ، وهو مهوى الأفئدة بشوقهم إليه، والتوجه بالقلوب للمبيت فيه روحا لنيل عطاءاته المعنوية، فهو مجمع شمل قلوب المسلمين ومآب الصادقين ومأوى المؤمنين، فهو بيت لا للسكنى بل لتأكيد الإيمان .

الفرع الرابع: مكان الوضع

لقد بيّنت الآية القرآنية أنّ مكان البيت هو بكّة، فما معناها؟ ولماذا خصصّت هذا اللفظ ؟ ذهب المفسّرون في اشتقاق كلمة بكّة إلى وجهين:

الأوّل: إنّه من البك الذي هو الازدحام ودفع البعض بعضا، فسمّيت مكة بكة؛ لأنّهم يزدحمون في الطواف، وهو قول سيدنا محمد الباقر رضي الله عنه [lxxvii].

الثاني: سمّيت بكة؛ لأنّها تبك أعناق الجبابرة، فلا يريدها جبار بسوء إلا اندقت عنقه [lxxviii].

وقد اختلف المفسّرون في العلاقة بين مكة وبكة على أقوال أشهرها":

1. إنّ بكة ومكة اسمان لمكان واحد، فإن الباء والميم حرفان يتقاربان في المخرج فيقوم كل واحد منهما مقام الحرف الاخر فنقول: هذا دائم ودائب[lxxix].
2. إنّ بكة هي البيت، ومكة هي اسم لكل البلد؛ لأنّ الازدحام والمدافعة، يحصل في المسجد عند الطواف[lxxx]. وهذا ضعيف؛ لأنه يلزم أن يكون الشيء ظرفا لنفسه[lxxxi].
3. مكة اسم للبيت والمطاف، وبكة اسم البلد[lxxxii].
4. بكة موضع البيت[lxxxiii].

وهنا يجدر ملاحظة أمرين:

الأول: إنّ القران الكريم عدل عن تعريف البيت باسمه العلم بالغلبة ، وهو الكعبة، إلى تعريفه بالموصولية بأنّه (للذي ببكة) ؛ لأنّ هذه الصلة أشهر في تعيّنه عند السامعين، فليس في مكة يومئذ بيت للعبادة غيره، بخلاف اسم الكعبة، فقد أطلق على القليس الذي بناه الحبشة في صنعاء لدين النصرانية ولقبوه بالكعبة اليمانية ، والمقصود إثبات سبق الكعبة في الوجود قبل بيوت أخرى من نوعها [lxxxiv].

"الثاني: إنّ العرب تتسع في حروف الجر، فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني، فمن ذلك الباء، تقول: فلان بمكة وفي مكة، لكن إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا، فقد أخبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا، فقد أخبرت بـ (في) عن احتوائه إياه وإحاطته به[lxxxv].فليس المقصود في الآية بيان أن البيت محتوى في بكة بل أنّه مقترن ومصاحب وملصق بها، وقد يكون في هذا إشارة إلى طول المصاحبة بوجود هذا البيت في هذا البقعة وبهذا يترجح أن بكة اسم لموضع البيت أو للبيت والمطاف ، والمقصود من هذا التعبير بيان البيت وتحديده مكانا بلا لبس فهو مكان الازدحام الذي يأتيه الناس للزيارة، فهو مشهور معلوم لدى الجميع .

المطلب الثاني: معنى البركة والهدى ومظاهرها

وفيه فرعان :

الفرع الأوّل: البركة ومظاهرها

لقد وصف الله تعالى البيت الحرام بكونه مباركا، فما هي بركة هذا البيت؟، وما هي أبعادها؟.

البركة لغة لها معنيان: أحدهما: النمو والتزايد، والثاني: البقاء والدوام [lxxxvi].

ومبارك: اسم مفعول من بارك الشيء إذا جعل له بركة،أي جعلت البركة فيه ، فهو كثير الخير[lxxxvii] .

مظاهر البركة

لقد تنوّعت بركات هذا البيت وامتدت أبعادها امتدادا على العالمين، وكالآتي:

1. بركة ذاته

إنّ من أعظم بركات هذا البيت أنّ الله تعالى وضعه، ومن بركة ذاته أنّ حجارته وضعها عند بنائه يد صفوة الخلق من الأنبياء سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ثم يد سيدنا محمد صوات الله عليهم اجمعين، ولا سيما الحجر الأسود[lxxxviii].

2. مغفرة الذنوب

من المعلوم أنّه لاشيء أكثر بركة ممّا يجلب المغفرة والرحمة، والكعبة بجلالها وأنوارها تذيب الذنوب.

فبمجرد السير إلى الكعبة تظهر آثار هذه الخيرات، قال سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلمّ : (فإنَّك إذا خرجْتَ من بيتك تؤُمُّ البيت الحرام لا تضع ناقتك خُفا، ولا ترْفعهُ إلا كتب الله لك به حسنةً، ومحا عنْكَ خطيئةً)[lxxxix]. ومن بركات هذا البيت أنّه تغفر ذنوب الطائفين حوله، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحاج: لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلا حطّ الله عنه خطيئة وكتب له بها حسنة[xc].كما أنّ كثرة زيارته سبب لدوام المغفرة ، فقد قال مبعوث الغفار المصطفى المختار صلّى الله عليه وآله وصحبه الأبرار وسلّم قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لِما بينهما)[xci].

"وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"من حجّ هذا البيت، فلم يرفث،ولم يفسق،رجع كيوم ولدته "أمه"[xcii].

3. مضاعفة الحسنات

إنّ الطاعات إذا أتي بها عند البيت ازداد ثوابها.

ففي الصلاة، قال صلّى الله عليه واله وسلّم:(وصلاة في المسجد الحرامِ أفضل من مائة ألف صلاةٍ فيما سواه[xciii]، وفي تلك الخطوات التي حوله ارتقى العمل إلى نوع آخر، قال صلّى الله عليه واله وسلّم: (من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة)[xciv].

4. رفع الدرجات

ولله درّ البيت المعظّم لم يكتف بأن يكون سببا لغفران السيئات ومضاعفة الحسنات بل تكرّم الله عليه بجعله يرفع الدرجات، قال النبي صلّى الله عليه واله وسلّم:(ما رفع رجل قدما، ولا وضعها إلا كتبت له عشر حسنات، وحطّ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات) [xcv].

5. الطواف حوله صلاة

إنّ هذه الخطوات التي ينتقل بها الطائف حول البيت هي حضور بين يدي الله تعالى بعمل هو من أفضل الأعمال ألا وهو الصلاة، قال إمام الطائفين حضرة سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم: (الطواف حول البيت مثل الصلاة، إلا أنّكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلمنّ إلّا بخير)[xcvi].

6. ضمان الجنة

قال أوّل الداخلين إلى الجنة صلى الله عليه واله وسلم: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [xcvii] وفي رواية أخرى: (وليس للحجَّة المبرورة ثواب إلا الجنَّة)[xcviii].

7. زيارته سبب الغنى

وتتعدى عجائب بركة الكعبة النفع الروحي إلى آفاق إقتصادية ، قال صلّى الله عليه واله وسلّم : تابعوا بين الحجِّ والعمرة ، فإنَّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذَّهب والفضَّة[xcix].

8. إجابة الدعوات

ومَن أولى بكرم الله تعالى مِن ضيفه في بيته؟ حيث تفتح قائمة الطلبات المجابة سلفا، قال رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم: (الحجَّاج والعمَّارُ وفد الله دعاهمْ فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم)[c].

9. امتداد بركته على الأمة

والحجّ لهذا البيت لا يقتصر فضله لِمَن زاره بل يتعدى نفعه ونوره وبركته إلى عموم الأمة، قال سيد الحجاج صلّى الله عليه واله وسلّم: (يغفر الله للحاج، ولمن استغفر له الحاج)[ci]، وفي رواية(اللهمَّ اغفِرْ للحاجِّ ولمن استغفَر له الحاجُّ)[cii].

10. النظر إليه عبادة

إن العيون لتكتحل بالنظر إلى عمة هذا البيت فيصيبها من آثار مشاهدته ما يصحي القلوب ويزيل عنها ظلمات الذنوب ، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم: (يُنزِّل الله كلَّ يومٍ على حجَّاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة: ستين للطائفين، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين)[ciii].

11. الكعبة أمان لأهل الدنيا

قال تعالى: (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ)[civ]، وفي معنى كونه قياماً للناس أقوال": منها: أنه أمان لهم من الهلكة ، فما دام البيت يحجه الناس لم يهلكوا فإنّ هُدِم ، وتركوا الحج هلكوا [cv] . فعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن الناس تركوا الحج عاما واحدا لا يحج أحد ما نوظروا بعده [cvi]، وقال الْحسن: لَا يزَال النَّاس على دين مَا حجُّوا الْبَيْت واستقبلوا الْقبْلَة[cvii].

وقال عطاء رحمه الله تعالى عن البيت الحرام : لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا[cviii] .

فكلمة الناس عامة، قال سعيد بن جبير: "جعل الله هذه الأمور للناس، وهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا"[cix]، فإذا جاء اليوم الذي يهجر فيه البيت المعظّم ، فلا يؤذن فيه ولا يصلّى ولا يحج إليه ولا يعتمر، فلا شك أنّ هذا دليل على خراب الدنيا وأنّه علامة من علامات الساعة.

12. لقاء الأفئدة عنده

وهذا المعنى يتضمن وجهين:

الأوّل: إنّ الكعبة لا تنفك من الطائفين والعاكفين والركع السجود، والأرض كروية، ففي كل وقت مصلون، فالكعبة يتوجه الناس اليها في الصلاة، فكانت البركة حاصلة في كل وقت[cx].

الثاني: إنّ صفوف المتوجهين إليها في الصلوات كالدوائر المحيطة بالمركز، ولا شك أنّه فيهم أشخاص أرواحهم نورانية وضمائرهم ربانية، فمن كان في الكعبة ينتفع من تعلّق هذه القلوب بهذا المكان، فكأن الكعبة ملتقى الأفئدة وسبب الوصال بين المؤمنين، وهذا ينبهك على معنى كونه مباركاً[cxi].

الفرع الثاني: الهدى

الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب[cxii].

والهداية في القرآن تأتي على نوعين[cxiii]:

1. الهداية الخاصة: هي تفضُّل من الله سبحانه على العبد بتوفيقه إلى طاعته.
2. الهداية العامة: ومعناها إبانة طريق الحق والرشاد.

والله تعالى وصف البيت بأنّه هدى؛ لأنه لما كان مقوِّما مصلِّحا كان فيه إرشاد[cxiv].

الهداية الخاصة:

أولاً: الهداية في إقامة الشعائر: فالهداية تأتي للناس حين يقيمون الشعائر، فهو قبلتُهم ومُتعبَّدُهم يهتدون به إلى جهة صلاتهم أو يهتدون به حيث يتوجهون إليه في الصلاة، ولعله لا تمر ساعة ولا دقيقة إلا وأناس متوجهون إلى ذلك البيت الحرام يصلون صلواتهم ، ففي استقباله توجيه للقلوب والعقول الى الخير وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله تعالى، فأيُّ هداية للعالمين أظهر من هذه الهداية [cxv]، كما أن إقامة الحج والعمرة هدى؛ لأن الأمة تزداد إيمانًا وهدى وخيرا وبركة باقامة هذه الشعائر ، فكلا الصلاة والحج فيهما الوحدة الشعورية بتوجه القلوب إلى مكان واحد والوحدة الظاهرية بتوجه الأجساد لمكان واحد، وكلاهما هداية للأمة.

ثانيا: انجذاب القلوب إليه

وذلك أنّ الله عزّوجلّ خلق هذا البيت بين الجبال في أرض ملساء قليلة الريع، لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة؛ ممّا لا يرغب الخلق إلى مثلها، ثمّ جعل قلوب الناس تميل وتهوى إليه أفئدتهم وتأتيه للحج والعمرة من كلّ فجّ مع عدم ما يرغبهم من النزهة، وذلك من آيات الله ولطفه؛ وإلا ما رغب الناس إلى مثله[cxvi].

ثالثاً: هدايته إلى الجنة:

وكلّ من أدّى الطاعات الواجبة إليه من صلاة وحج وعمرة هداه فاستوجب الجنة[cxvii].

رابعا: هدايته للملائكة:

البيت هدى للعالمين، ومن أنواع العالمين الملائكة، فعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما:"أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعليه عصابة حمراء، قد علاها الغبار، فقال له رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم: ماهذا الغبار أرى على عصابتك، أيها الروح الأمين ؟ قال: إنّي زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن، فهذا الغبار الذي ترى مما تثير بأجنحتها[cxviii] . وعن عثمان بن يسار، قال: بلغني أنّ الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكا من الملائكة لبعض أموره في الأرض استأذنه ذلك الملك في الطواف بالبيت فهبط الملك مُهلِّلاً[cxix] .

عن أبي لبيد المدني: حجّ آدم فلقيته الملائكة، فقالوا: برَّ حجُّك يا آدم، أمَا إنَّا قدْ حججنا قبلك بألفي عامٍ[cxx].

الهداية العامة:

ونقصد بها الدلائل والآيات الواضحات في البيت الحرام التي لا على أحد، والتي تدلّ على الخالق سبحانه وتعالى، وصدق رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم في النبوة بما فيه من الآيات البينات[cxxi].

أوّلا: الضمان الأمني

إنّ سيدنا إبراهيم عليه سأل الله عزّوجلّ أن يؤمن سكان مكة، قال تعالى:(**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا**)[cxxii]، وكان من آثار هذه الدعوة المباركة أنّه تحقق له نوعين من الأمان":

1. الأمان الداخلي: فجعل الله عزّوجلّ أمن مكة آية فعطف قلوب العرب في الجاهلية على مَن لاذ بالحرم حتى يؤمنوه مع عدم تدينهم، فكان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض اليه، وتعارف هذا بين قبائل العرب على اختلاف أنسابهم وأديانهم ، فهذه علامة على أن الحق تعالى شأنه جعل ذلك"في نفوسهم[cxxiii].

2. الأمن الخارجي: لقد دفع الله تعالى عن أهل مكة من الأضرار على حالة اتفق عليها سائر العرب، وقد نبّه القرآن على هذه القضية وجعلها دليلا وهداية لمن أراد الله السعادة، وهو ما جاء في قوله عز وجل : (**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**[cxxiv]، وقوله سبحانه: **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ**)[cxxv]، فالأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا، فكان أهل مكة يقولون لحضرة النبي صلّى الله عليه واله وسلّم إنْ اتبعناك على دينك خفنا العرب لمخالفتنا إياها، فأجابهم: كيف تخافون

إذا أسلمتم وأنتم مع كفركم آمنون في هذه البقعة المباركة ، أليس هذا بيان لكم لتؤمنوا، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله تعال هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه[cxxvi].

ثانيا: الضمان الاقتصادي

إنّ من هدايات البيت الحرام ما ذكر في قوله تعالى:(أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[cxxvii] فقد أفيض عليه من بركات الأرض وثمرات كلّ شيء مع كونه بواد غير ذي زرع[cxxviii]، لهذا امتنّ الله عليهم بهذا الفضل الإلهي وذكّرهم أن هذا سبب من أسباب هدايتهم إلى الله تعالى بسبب هذا البيت، قال تعالى:(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[cxxix].

ثالثا: مقام إبراهيم

لقد جعل الله سبحانه ذلك المقام مشتملا على آيات، فأثر القدم في الصخرة الصمّاء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلى أنه بعض الصخر دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياءعليهم الصلاة والسلام آية، وحفظه سبحانه من كل عدو لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة اللَّه ونبوة سيدنا إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد آلاف السنين سنة لهو بيان وهدى "لمن أراد الهدى[cxxx].

الترجيح:

والذي يبدو لي: أن وضع البيت كان قبل وجود سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ؛ للأسباب الآتية:

1. إنّ هذا البيت وضع للناس ، وهذا يشير إلى أنه وجد قبلهم أو مع وجودهم، لأن الناس يشمل أولهم، وهو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام.
2. إنّ المعنى يدل على وجود البيت مع وجود الأرض والناس، فالبيت أمان لأهل الأرض، وهذا يعني إن وجوده سابق في القدم.

3. من الثابت أنّه لم تخل الأرض من أماكن العبادة، ولا يمكن جعل الكعبة أول بيت للعبادة بني في عهد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والتسليم؛ إذ هذا قول بخلو الزمان فيما قبل ذلك من أماكن العبادة، وهذا لا يقول به حتى القائلون بالأولية المقيدة ، والقول بأن التوجه كان للبقعة التي هي الأساس تشير إليه بعض الروايات إلّا أنه يتعارض مع الروايات التي تثبت البناء فيما قبل ذلك برغم ضعفها أو احتمالية أنها من الإسرائيليات التي لاتصدق ولا تكذب إلّا أنه يمكن الاستئناس بها؛ لأنّ هناك ما يؤيدها من ظواهر بعض الآيات المتعلّقة بالموضوع كما ذكرنا، كما أن مفردة البيت تعني وجود البناء ، والقول بأنها البقعة مجاز، لا داعي له .

إذن الملاحظ أن القائلون بأنّ الكعبة أوّل بيت للعبادة استدلوا ببعض ظواهر النصوص مع تأويل ظاهر الآية التي هي محل البحث، فأولوا الأولية والوضع والبيت ، وجعلوها مجازية والتأويل خلاف الظاهر، ولا ضرورة له، .

الخاتمة:

بعد حمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، فهذه أهم النتائج التي توصلّت إليها من خلال هذه الرحلة القرآنية في رحاب البيت العتيق:

1. إنّ الآية القرآنية موضوع البحث حدّدت جوانب الفضل في البيت الحرام من حيث الزمان والمكان وحكمة وضعه وآثاره بما لا يدع مجالا للشاك في فضله.
2. لفظ الأول ظاهر في الدلالة على الأولية سواء كان أولية مطلقة أو للعبادة، وكلا المعنيين يؤدي إلى فضله الزماني والمكاني وحكمة وجوده وعطاءاته.
3. أشارت الآية إلى عظم الواضع لهذا البيت وهو الجليل جلت صفاته، وإلى عظم الغاية وهو منفعة الناس وإلى عظم المزايا والفضائل، هذا مع بساطة التصميم والبناء فالأشياء العظيمة لا تحتسب بزخارف الدنيا ولا بعظمة البناء لكن بآثارها منافعها".
4. إن من المتفق عليه أن القداسة في البيت هي لموضع المكان، لكن هذا لا ينفي حرمة البناء إذا اتصل به، ظواهر النصوص التي تدل على أنّ سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من بنى الكعبة ظنية، وهي معارضة بظواهر نصوص أخرى .

5. لقد حاز البيت الحرام جميع أوجه الأولية فهو المتقدّم زمانا إذ هو أول بيت وضع في الأرض وهو متقدم رئاسة إذ هو أفضل المساجد، وهو المتقدّم بالوضع والنسبة وهو المتقدم بالنظام الصناعي إذ دُحيت الأرض من تحته فهو أساس والغير تبع .

6. إنّ بركات وهدايات البييت الحرام عامّة وخاصة للمسلمين وغيرهم فهو هدى وبركة للعالمين .

الهوامش

[i] ينظر : لسان العرب 718/11
[ii] التعريفات ص 39
[iii] ينظر: تفسير الرازي 295/8
[iv] المصدر نفسه
[v] "ينظر: المفردات ص 100
[vi] سورة البقرة : من الآية 41
[vii] ينظر: المفردات ص 100
[viii] ينظر: تفسير الماوردي 410/1، تفسير زاد المسير 306/1، البحر المحيط 268/3.
[ix] ينظر: تفسير الطبري 7/4
[x] ينظر: تفسير الثعلبي 10/9
[xi] المصدر نفسه 11/9
[xii] ينظر: تفسير السمرقندي 232/1
[xiii] ينظر: تفسير النيسابوري 212/2
[xiv] ينظر: تفسير البحر المحيط 268/3، تفسير الرازي 295/8
[xv] ينظر: تفسير الرازي 295/8، تفسير الراغب 731/2
[xvi] سورة الحج: من الآية 29
[xvii] ينظر: تفسير ابن عطية 119/4
[xviii] المصدر نفسه
[xix] سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، (5/ 232) ، رقم الحديث: 3170 وقال : هذا حديث حسن غريب وفي الآية أقوال أخرى لكن ما ذكرنا أولى الأقوال فيها، ينظر: تفسير الطبري 7/4
[xx] سورة الشورى : من الآية 7
[xxi] ينظر: تفسير النيسابوري 212/2
[xxii] ينظر: تفسير ابن كثير 191/7
[xxiii] وهذا يحتمل أن الله تعالى وضعه أو أن الملائكة بنته .
[xxiv] شعب الإيمان، باب في المناسك، حديث الكعبة والمسجد الحرام والحرم كله ،(5/ 449) ، رقم الحديث :3700 ، قال محققه: إسناده ضعيف
[xxv] تفسير الطبري 61/3
[xxvi] سورة الانشقاق :3

[xxvii] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير ، تفسير سورة (إذا السماء انشقت) ، والسجود فيها، (4/ 670) ، رقم الحديث :3955 ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
[xxviii] أخبار مكة للأزرقي ص68، قال محققه: حسن لغيره
[xxix] دلائل النبوة للبيهقي 45/1، وهو ضعيف، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت، ينظر: البداية والنهاية 2/ 299
[xxx] أخبار مكة للأزرقي ص 70، قال محققه: إسناده ضعيف
[xxxi] دلائل النبوة البيهقي46/2
[xxxii] ينظر: تفسير ابن كثير 416/1، البداية والنهاية لابن كثير 376/3
[xxxiii] ينظر: البداية والنهاية 478/3
[xxxiv] أخبار مكة الأزرقي ص 96، قال محققه: إسناد صحيح
[xxxv]المستدرك على الصحيحين، كتاب المناسك، (2/ 490)، رقم الحديث 1627 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
[xxxvi] سورة مريم: 58
[xxxvii] صحيح البخاري، كتاب الخمس ، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، رقم الحديث: 3017، 1164/3
[xxxviii] ينظر: تفسير الرازي 296/8
[xxxix] سورة البقرة : 127
[xl] ينظر: البداية والنهاية 475/3
[xli] ينظر: تفسير الرازي 51/4، تفسير الشعراوي1631/3
[xlii] ينظر: تفسير الآلوسي 381/1
[xliii] المصدر نفسه
[xliv] المصدر نفسه
[xlv] سورة إبراهيم : من الآية 37
[xlvi] سورة الحج : من الآية 26
[xlvii] ينظر: أضواء البيان 296/4
[xlviii] البداية والنهاية 37/1
[xlix] نهاية الوصول إلى علم الأصول 354/2
[l] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب:{يزفون} /الصافات: 94 ، النسلان في المشي، رقم الحديث : 3168 ،1231/3
[li] ينظر: البحر المحيط 268/3، فتح الباري"6 / 408
[lii] ينظر: حاشية الخفاجي على البيضاوي 46/3
[liii] ينظر: شرح مشكل الآثار109/1، تفسير الآلوسي221/2
[liv] ينظر: البحر المحيط 268/3
[lv] أي أن انتصاب (مباركا)على الحال، والعامل فيها (وضع) أي: أول بيت وضع مباركا، ينظر: البحر المحيط369/3
[lvi]المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير، ومن سورة آل عمران، (4/ 170) قم الحديث: 3192، هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
[lvii] تفسير الطبري (6/ 19) رقم الأثر: 7423
[lviii] ينظر: تفسير الرازي 300/8

[lix] المصدر نفسه
[lx] قال في الإنصاف :(الصحيح من المذهب أن المسجد العتيق أفضل من الأكثر جماعة) ، الإنصاف 215 /2
[lxi] الكعبة المشرفة أول بيت يستقبل كلّ الناس، نشوء البيان، دراسات قرآنية، لغوية ، تاريخية، آثارية https://mbtda.com/anbyaa/ibrahim/first.php
[lxii] ينظر: البحر المحيط 268/3، تفسير الالوسي 376/4
[lxiii] مقاييس اللغة 117/6
[lxiv] ينظر: التحرير والتنوير 12/4
[lxv] ينظر: تفسير البقاعي 6/5، تفسير الشعراوي3 /1631
[lxvi] ينظر: تفسير الآلوسي 221/2
[lxvii] ينظر: تفسير ابن عطية 474/1
[lxviii] ينظر: اتحاف البشر في القراءات الأربعة عشر ص227 ، التيسير في القراءات السبع أبو عمرو الداني ص 90
[lxix] ينظر: إعراب القراءات الشواذ أبو البقاء العكبري" 338
[lxx] سورة البقرة:213"
[lxxi] المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، ومن تفسير سورة (حم عسق)، (4/ 502)، رقم الحديث: 3695، قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
[lxxii] مقاييس اللغة 325/1
[lxxiii] ينظر: الكليات للكفوي بتصرف ص239
[lxxiv] المصدر نفسه ص240
[lxxv] لسان العرب14/2
[lxxvi] المصدر نفسه
[lxxvii] ينظر: تفسير الرازي 299/8 ، تفسير النسفي 271/1
[lxxviii] ينظر: تفسير النسفي 271/1، تفسير الآلوسي221/2
[lxxix] ينظر: تفسير الآلوسي221/2
[lxxx] ينظر: زاد المسير306/1
[lxxxi] ينظر: البحر المحيط 268/3
[lxxxii] ينظر: تفسير ابن عطية 474/1
[lxxxiii] المصدر نفسه
[lxxxiv] ينظر: التحرير والتنوير 13/4
[lxxxv] ينظر: معاني النحو 94/3
[lxxxvi] ينظر: تفسير الآلوسي222/2
[lxxxvii] ينظر: التحرير والتنوير16/4
[lxxxviii] ينظر: التحرير والتنوير16/4
[lxxxix] كشف الاستار عن زوائد البزار، كتاب الحج، باب فضل الحج رقم الحديث 1082،2 /8، قال الهيثمي: ورجال البزار موثقون ، مجمع الزوائد 275/3
[xc] سنن الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، باب ما جاء في استلام الركنين، رقم الحديث: 959، وقال: حديث حسن ،281/2
[xci] صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها رقم الحديث :1683 ، 629/2"

[xcii] صحيح البخاري، كتاب الحج ، باب: قول الله تعالى: {فلا رفث} سورة البقرة : 197 ، رقم الحديث:1723، 645/2

[xciii] مسند أحمد، حديث أبي رمثة رضي الله عنه ، 46/23 ، رقم الحديث : 14694، قال محققه: وقال إسناده صحيح 214/2

[xciv] سنن الترمذي ، 2281، أبواب الحج عن رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم، باب ما جاء في استلام الركنين، رقم الحديث: 959 ، وقال: حديث حسن

[xcv] مسند احمد، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، 32/8 ، رقم الحديث :4462، قال محققه: حديث حسن

[xcvi] سنن الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم ، باب ما جاء في الكلام في الطواف،282/2 ، رقم الحديث:960، ، المستدرك على الصحيحين وقال: حديث صحيح الإسناد ، رقم الحديث" 1687: 630/1

[xcvii] صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها رقم الحديث :1683 ، 629/2

[xcviii] سنن الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ، 2/ 64 وقال : حديث حسن صحيح ، رقم الحديث: 810

[xcix] سنن الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، 2/ 64 ، رقم الحديث: 810 ، وقال : حديث حسن صحيح

[c] مسند البزار، باب الحجاج والعمار، 2/ 39، رقم الحديث: 1153 ، قال المنذري: ورواته ثقات، الترغيب والترهيب 167/2.

[ci] كشف الاستار عن زوائد البزار ، كتاب الحج ، باب فضل مكة ، 40/2 ، رقم الحديث: 1155

[cii] المستدرك على الصحيحين، كتاب المناسك، 2/ 491 ،رقم الحديث: 1629 ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

[ciii] قال المنذري: رواه البيهقي بإسناد حسن، الترغيب والترهيب" 192/2.

[civ] سورة المائدة : من الآية 97

[cv] أشارت نتائج دراسة علمية حديثة، تُجرى في معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة بجامعة أم القرى، إلى عدم تعطل أو انقطاع شعيرة "الحج" أبدًا على مدى "التاريخ الإسلام، وذكرت الدراسة أنه بعد استقراء أكثر من أربعين مرجعاً ومصدراً علمياً تتبعت التاريخ الإسلامي كاملاً؛ فإنه يتبين أن الحج لم يتوقف أو ينقطع بالكُلية،وأن غاية ما حصل إما توقف جزئي من بعض البلدان ونقلت نص المؤرخين على أن الحج في تلك السنة كاد أن يمتنع إتمامه لولا أن بعض الحجاج قاموا بعد الحادثة باللحاق بعرفة وإكمال مناسكهم على أقدامهم183437 https://www.alriyadh.com/

[cvi] ذكره في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، نقلا عن سنن سعيد بن مَنْصُور،عَن ابْن عَبَّاس 276/2

[cvii] الدر المنثور في التفسير بالمأثور 3/ 202

[cviii] ذكره كثير من المفسرين مستدلين به ، البحر المحيط 373/4

[cix] ينظر: تفسير ابن عطية 224/2

[cx] ينظر: تفسير الرازي 300/8

[cxi] المصدر نفسه

[cxii] التعريفات 256

[cxiii] ينظر: تفسير القرطبي 160/1

[cxiv] ينظر: البحر المحيط 296/3

(cxv) ينظر: تفسير الرازي301/8
(cxvi) ينظر: تفسير الماتريدي429/2، تفسير المنار 7/4، تفسير المراغي 8/4
(cxvii) ينظر: تفسير الرازي301/8، تفسير النسفي 275/1
(cxviii) ينظر: أخبار مكة للأزرقي ص70، قال محققه: إسناده ضعيف
(cxix) ينظر: أخبار مكة للأزرقي ص70، قال محققه: إسناده حسن
(cxx) ينظر: أخبار مكة للأزرقي ص 85، قال محققه: إسناد صحيح
(cxxi) ينظر: تفسير الرازي301/8 ، تفسير النسفي 275/1
(cxxii) سورة إبراهيم : من الآية 35
(cxxiii) ينظر: تفسير الرازي 6/25
(cxxiv) سورة القصص:57
(cxxv) سورة العنكبوت: 67
(cxxvi) ينظر: زاد المسير389/3، تفسير الرازي 6/25، تفسير ابن كثير 259/6، التحريروالتنوير 17/4
(cxxvii) سورة القصص: من الآية 57
(cxxviii) ينظر: تفسير المنار 7/4
(cxxix) سورة قريش : 3-4
(cxxx) ينظر: الكشاف388/1، تفسير الرازي 301/8 .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البناء(ت 1117هـ) ، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م - 1427هـ .
2. أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، محمد بن عبد الله الأزرقي (ت 250هـ)، المحقق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى، مكتبة الأسدي2003م.
3. أسباب النزول للواحدي، علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م".
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ - 1995 م .
5. إعراب القراءات الشواذ أبو البقاء العكبري (ت 616)، تحقيق محمد السيد ، عالم الكتب ، بيروت، ط1، 1996م.
6. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المَرْداوي (ت 885 هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، عبد الفتاح محمد، هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م.
7. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف، ابن حيان الأندلسي (ت 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ .
8. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ)، مطبعة السعادة – القاهرة".

9. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
10. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656 هـ)، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر".
11. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م .
12. تفسير ابن عطية =المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،عبد الحق بن غالب، ابن عطية الأندلسي (ت 542هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 - 1422هـ.
13. تفسير الآلوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي (ت 1270هـ)،المحقق:علي عبد الباري عطية، دارالكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى، 1415 هـ .
14. تفسير البقاعي= نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.
15. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي(ت 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،الطبعة الأولى 1422، هـ - 2002م
16. تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الخازن (ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ .
17. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، محمد بن عمر ، الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ .
18. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999م.
19. تفسير السمرقندي= بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ) ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى1413 – 1993م.
20. تفسير الشعراوي = الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م
21. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001 م.
22. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية 1420 هـ - 1999 م.
23. تفسير القرطبي=الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384 هـ - 1964 م

24. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد الماتريدي (ت 333هـ)، المحقق : مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م
25. تفسير الماوردي = النكت والعيون، علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت .
26. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) محمد رشيد بن علي رضا (ت 1354هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
27. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946م.
28. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710هـ)، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
29. تفسير النيسابوري= غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ .
30. التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني (ت 444هـ)، المحقق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/ 1984م.
31. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت 1069هـ)، دار صادر – بيروت.
32. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت 911هـ) ، دار الفكر – بيروت.
33. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ)، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1988م.
34. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ .
35. سنن الترمذي= الجامع الكبير ، محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ)، حققه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، 1996 م .
36. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458 هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م .
37. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة" الخامسة، 1414 هـ - 1993 م.
38. فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ) قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية – مصر، الطبعة الأولى ، 1380 - 1390 هـ.

39. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة ، الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987م.
40. كشف الأستار عن زوائد البزار، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1399 هـ - 1979م.
41. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت
42. لسان العرب،محمد بن مكرم ، ابن منظور(ت 711هـ)، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة- 1414 هـ.
43. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م".
44. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم (321 - 405 هـ)، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1439 هـ - 2018 م.
45. مسند الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل(ت241 هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
46. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أحمد بن عمرو البزار (ت 292 هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى.
47. مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت 321هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى - 1415 هـ.
48. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – الأردن، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م
49. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق ، الطبعة الأولى - 1412 هـ.
50. نهاية الوصول في دراية الأصول، محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (715 هـ)، المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح، المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996 م.

المواقع الألكترونية :

1.https://mbtda.com/anbyaa/ibrahim/first.php
2.https://www.alriyadh.com/

Illuminating the Lamp
From the words of God Almighty
(Indeed, the first House [of worship] established for mankind)

Dr. Abdul Jabbar Muhammad Jassim
Sunni Endowment Office
abedgbr@yahoo.com
Prof. Dr. Khalid Muhammad Jassim
Al-Mustansiriya University / College of Basic Education /
Department of Islamic Education
Dkhaled662@gmail.com

Abstract:
The Holy Kaaba, the Qibla of Muslims, was magnified by God Almighty in His Holy Book, and by the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) in his blessed Sunnah, both in word and deed. He spoke of its greatness and circumambulated it in worship and veneration. It remains the object of the hearts' longing. God Almighty stated that this Kaaba is His Sacred House and the first house established for mankind. Was this the first house in terms of worship or in terms of being the first building on Earth?
The Holy Verse alludes to its primacy, and the Companions, the Successors, and the scholars after them differed in their interpretations of this primacy. We have sought to illuminate this verse and glean its blessed light by studying the verse that speaks of the primacy of the Sacred House. From it, we have discerned the greatness of the House, the guidance it contains, and the blessings that emanate from it, which befall all who circumambulate it, pray within it, or gaze upon it. Every connection with it demonstrates the worship for which God Almighty has magnified this House, which remains the Qibla of Muslims until the end of time

Keywords: (lighting, beacon, first, house, people).